



## حديثٌ عن الشعر

وماذا في جُعبتي من جديدٍ أو طريفٍ عن الشعر؟!؛

لعلهم لكثرة ما قيل، لم يقولوا إلا في الشعر!

وليس حديثي هذا سوى خَطَرَاتٍ جالت بِفكري، هي بضعُ كلماتٍ عن الشعر، وما يعنيه لي.

الشعرُ كائنٌ حيٌّ، يَنبِضُ بالإحساس، وتتعاقَبُ عليه أحوالٌ متباينة من الحُزن والسرور، واليأس والأمل، تزدادُ شعوراً به كلما اقتربت منه، تملكُك أنفاسُ الشاعرِ المُتلاحقة، حين تشرعُ في قراءة القصيدة، فلا تتوقَّفُ عند الإعجابِ بِجودةِ البناءِ والتركيب، ولا بِقوَّةِ الألفاظِ وزخرفها، إنّما تأخذُك رهبةُ الموقف، فتُحسُّ أنّ القصيدةَ ما هي إلا إنسانٌ يعصِفُ الألمَ بقلبه، وتأخذُ الحيرةُ بلبِّه، فيجأُ بالشكوى في غناءٍ مرير، كأنما تتصعدُ أحزانهُ في لحنٍ عبثري، يرفعُ صوته وهو يتغنّى به، مُتحدِّياً ذلك الحُزنَ، وذلك الألمَ، مُحوِّلاً إياهما إلى سببٍ داعٍ للتفاؤل، ومُعاودةِ الحياة.

ولعلَّ التغنّيَ بالشعر وإنشاده، مما يُضفي على سِحرِهِ سِحراً، وعلى بهائه بهاءً، ويُدركُ دارسُ الأدب أنَّ الحُداءَ سابقٌ لنشأة الشعر، ولم يُكنْ أجدادنا العرب الأوائل في ذلك الأوان يعرفون عرُوض الشعر،





وبحور الخليل، إنَّما كان ما جرى على ألسنتهم من الشعر مُوافقاً لذلك اللحن الذي تعزفه الطبيعة من حولهم.

وإذا انتقلنا للحديث عن الشاعر، فلا نجد المزيد للتعريف به، لأننا عَرَفناه، وعرفنا عنه حتى أدقِّ تفاصيله، ورأيناهُ من خلال قصائده يئنُّ ويَتوجَّع، لا يتجمَّل ولا يتكلَّف، لك - أيها القارئ - أن تُعرِفَ ذلك الشاعرَ حقَّ المعرفة، في ساعةٍ واحدة، فلا تدَّعِ معرفةً بلُغة العيون، لأنَّ بإمكانك أن تقرَّاهُ واضحاً في أبيات شعره.

وليس ثمةَ فَرْقٍ بين الشاعر والشعر، سوى أنَّ الشعرَ باقٍ خالدٌ لا يموت بموت صاحبه، بل قد يُخلِّدُ ذكره فيصبحُ عمره بِقدَرِ عمرِ الإنسانيَّة، لا بِقدَرِ عمرِ الإنسان، ونماذجُ صدقٍ ما أقول، أننا ما زلنا إلى هذا اليوم، وإلى أيام ستأتي، نستعذبُ في أفواهنا حكمةَ أبي الطيب، وفلسفةَ أبي العلاء، وورقةَ ابنِ زيدون.

ولا عيبَ في كونِ شعرِ الشاعر مُتَّصِفاً بالذاتية، لأنَّه - لو لم يكن كذلك - لما أبصرت فيه تلك الحرارة التي تنسكب من دماء الشاعر، لا من أفكاره وحسب، ولو لم يكن كذلك لما أحسست بأنَّ قصائدَ الشاعر هي أبعاضٌ من روحه.

والشاعر.. ذلك الإنسان الذي يقف طويلاً أمام مواقف الحياة، ومظاهر الكون، لا يَمُرُّ عليها مرور العابر، بل يُديم النَّظَرَ والتأمُّلَ حيناً بعد حين، فيستنطقُ الجماد، ليُفضي إليه بسرِّ وجوده، وحكمةِ خلقه.

والشاعر - لهذا السبب - صديقٌ للكون والكائنات، وليس - كما





يعتقد البعض - مُتعالياً عن دُنْيا النَّاسِ، يعيشُ في بُرجِ عاجِيٍّ، ولا تؤذيه  
رؤيةُ الأوحالِ، لأنَّه لا يراها!

وإنَّكَ قد تَجِدُ شاعراً شاباً، لم تعرَّكهُ بعدُ الحِياةُ، يتحدَّثُ بلسانِ كهلٍ  
طالَ تَطَوُّفَهُ، وكَثُرَتْ تجارِبُهُ، وليس ذاكَ لأنَّه يَطْرُقُ كلَّ جديِدٍ لِيُقَالَ: هو  
مُجَدِّدٌ، ولا لأنَّه يَهَيِّمُ في كُلِّ وادٍ لِيُقَالَ: إنَّه واسعُ الأفقِ، بل لِكُونِهِ يملكُ  
قدرةً على امتصاصِ مشاعرِ المتألِّمينِ، وأحزانِ المحزونينِ، قد تَفُوقُ  
قدرتَهُم - هم أنفُسَهُم - عليها. ولذا فالشاعرُ ليس نِتاجَ سنواتٍ خَلَّتْ من  
عمره، بل هو نِتاجُ أحقابٍ طويلةٍ استغرقت أعمارَ الكثيرينِ ممن سبقوه.

شَرَطٌ واحدٌ ينبغي أن يلتزم به الشاعرُ لِيَتحوَّلَ شعره، لا لِمَجَرَّدِ  
كلماتٍ مُنمَّقةٍ ذاتِ روعةٍ وجلالِ، بل لِمُخلوقٍ حيٍّ واضحِ السِّماتِ، جليٍّ  
القَسَماتِ، وذلك الشرطُ هو: أن يكونَ صادقاً وحسب.

وهذا ما أدركه حسانُ بن ثابت -رضي اللهُ عنه- حين قال:

وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائِلُهُ      بيتٌ يُقالُ إذا أنشدته: صدقا

ولئلا يطولَ حديثي، أختَمُ بكلماتٍ عن رسالةِ الشاعرِ في الحياةِ..

الشعرُ ليس غايةً في حدِّ ذاته، إنَّما هو وسيلةٌ للتفاهمِ بين الإنسانِ  
والكونِ والحياةِ، لغةُ الخطابِ فيها ليست الكلماتِ، وإنَّما شيءٌ أبعدُ من  
الكلماتِ، وأسمى منها..

هو مشاعرُ التَّوْحِدِ في خدمةِ ذلك الهدفِ النبيلِ، الذي اقتضاهُ  
كونُهُم مُلَكاً لربِّ العالمينِ.

أمانى حاتم بسيسو

